

## الأئمة المغاربة في بلاد الحجاز "ابن حمود المكناسي نموذجاً"

Moroccan imams in the Hijaz country "Ibn Hamoud al-Meknasy as a model"

حنان جعيرن \*

المدرسة العليا للأساتذة بالأغواط (الجزائر)، h.djairene@ens-lagh.dz

تاريخ الإرسال: 2023 /02/19 تاريخ القبول: 2023 /03/29 تاريخ النشر: 2023/06/10

### الملخص:

يعتبر بلاد الحجاز القاعدة الأساسية الأولى التي أنتجت المذهب المالكي باعتبار أن شيخ المذهب مالك بن أنس من هذه البلاد بل إن لقبه إمام دار الهجرة – المدينة المنورة – فأصبحت بذلك الحجاز مقصدا للعلماء من كل حذب وصبو نختص في هذا الصدد بعلماء المغاربة الذين كانت لهم رحلات علمية عديدة إلى بلاد الحجاز، فهناك من العلماء من يأتي بغية أخذ العلم الشرعي وأحكام المذهب المالكي ونشره في بلاد المغرب، ومنهم من يستقر في الحجاز ويتقلد المناصب والوظائف في المدينة من هؤلاء العلماء الشيخ الإمام ابن حمود المكناسي الذي يعد من شيوخ المذهب المالكي وإمام في الحرم الشريف، ونسعى في هذه الورقة البحثية أن نكشف اللثام عن شخصية هذا الإمام ودواعي قدومه إلى بلاد الحجاز ودوره في تجسيد مبادئ المذهب المالكي.

الكلمات المفتاحية: ابن حمود؛ الحجاز؛ الحرم؛ الإمام.

## Abstract:

The country of the Hijaz is considered the first basic rule that produced the Maliki school of thought, given that the sheikh of the school of thought is Malik bin Anas from this country. Rather, his title is the imam of the House of Immigration - Medina - so the Hijaz became a destination for scholars from all sides. In this regard, we specialize in Moroccan scholars who had scientific trips Many scholars come to the country of the Hijaz, there are scholars who come with the aim of taking legal knowledge and the rulings of the Maliki school of thought and spreading it in the countries of the Maghreb, and among them are those who settle in the Hijaz and hold positions and jobs in the city. Among these scholars is Sheikh Imam Ibn Hammoud al-Meknasy, who is considered one of the elders of the Maliki school of thought and an imam in the Noble Sanctuary In this paper, we seek to uncover the personality of this imam, the reasons for his coming to the country of Hijaz, and his role in embodying the principles of the Maliki school of thought.

**Keywords: Ibn Hammoud; Hijaz; Haram; Imam.**

## مقدمة:

شكلت رحلات المغاربة إلى بلاد الحجاز، كما يصطلح على تسميتها لدى كل من من الله عليهم بشرف زيارة الأماكن المقدسة، وسيلة رئيسية للتواصل بين مختلف مناطق وربوع العالم الإسلامي. ونظرا لأهميتها الروحية والوجدانية، فقد عدت الرحلة الحجازية التي كانت غايتها الأسمى أداء الركن الأكبر، مصدرا تراثيا وتاريخيا وجغرافيا وأثرها هاما، عبر خلاله المغاربة عن الارتباط الوثيق الذي جمع طرفي الأمة الإسلامية شرقها وغربها، ساعين من خلال ما دونوه من ملاحظات ضمن مصنفات الرحلة، إلى نقل حيثياتها إلى من ينتظروهم حال عودتهم، لعلهم يطفئون بها نار الشوق المتوقدة في نفوس أهلهم، وهم يحلمون بزيارة بيت الله الحرام، وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجده.

وقد اتخذ التواصل بين رجال العلم المغاربة واخوانهم الحجازيين أشكال عديدة ومتنوعة، وأبرز تفاعل علميا انتعش بالعطاءات المتبادلة، عطاءات تستمد مقوماتها الروحية والفكرية من منبع واحد لا ينضب ولا يجف، منبع التراث العربي الإسلامي المشترك، الذي كانت اللغة العربية وعاء حافظا له.

هذا ما يفسر أيضا من تحشم المغاربة مشاق لا تطاق، ومخاطرهم بأموالهم وأنفسهم من أجل حضور الموسم ولقاء العلماء. فقد سجل المؤرخون والمترجمون جرأة هؤلاء وإقدامهم على أداء فريضة الحج رغم ما يلاقونه من مخاطر، وما يواجهونه من صعوبات.

وكانت فكرة الإقامة بمكة، ومجاورة الحرم المكي مما استأثر باهتمام الكثيرين من سكان بلاد المغرب، فترى بعضهم يجد في أحضان مكة ما يشفي غليله الإيماني والروحي. وترى البعض الآخر يرى فيها ملاذا آمنا ينسيه غوائل الفتنة التي كانت تعصف ببعض الأقطار التي ينتمون إليها. وترى فئة أخرى اهتمامها الأكبر تحصيل العلم من الشيوخ والأئمة، وما يدور في أروقتها من مناظرات العلم وحلقاته، فترتشف من حياض العلم والمعرفة ما يروي ظمأها، من هؤلاء العلماء الشيخ ابن حمود المكناسي الذين اشتهر بإمام الحرم الشريف خلال القرن السادس هجري، وذلك لإمامته الحرم نظرا لما له من مكانة ومنزلة شريفة لدى أهل الحجاز.

وفي هذه الورقة سنتطرق إلى معنى المجاورة وأسباب رحلات المغاربة إلى بلاد الحجاز وأبرز العلماء المغاربة الذين اشتهروا فيها ثم نسلط الضوء على الشيخ ان حمود المكناسي ترجمته ودواعي قدومه إلى الحجاز وكيف أصبح امام الحرم الشريف في بلاد الحجاز.

## 1. تعريف المجاورة:

### 1.1 في اللغة:

مفاعلة من الجوار، وهو الملاصقة والمساكنة، يقال: جاور فلان فلانا إذا لاصقه في السكن، وتطلق المجاورة بمعنى: قرب الشيء من الشيء في مكانه، والجوار: القريب من السكن<sup>1</sup>، أما المجاورة بمكة والمدينة فيقصد بها المقام المطلق غير الملزم بشروط الاعتكاف الشرعي<sup>2</sup>.

## 2.1 في الإصطلاح:

هو ظاهرة دينية وتاريخية اقتضتها قدسية المكان وشرفه، حيث تستحب المجاورة بهما لما ورد فيهما من الثواب والأجر، ولكن لمن يبذل جهده وطاقته في أداء العبادات والطاعات ويتجنب المعاصي والآثام<sup>3</sup>.

## 2. حكم المجاورة :

قد اختلف العلماء في حكم المجاورة بمكة؛ فمنهم من استحَبها لتحصيل الأجور العظيمة بعبادة الله هناك، ومنهم من كرهها طلبا للسلامة من مواقف المعاصي التي يزيد إثمها هناك، والقول الأول قول الجمهور، جاء في الموسوعة الفقهية: تستحب المجاورة بمكة والحرم عند جمهور الفقهاء (الشافعية، والحنابلة، وأبي يوسف، ومحمد، وهو قول ابن القاسم من المالكية)، وذلك لما يحصل من الطاعات التي لا تحصل في غيرها من الطواف، وتضعيف الصلوات، والحسنات. وحكي عن بعض الفقهاء منهم أبو حنيفة كراهة المجاورة بالحرم خوفا من التقصير في حرمة، والتبرم، واعتياد المكان، ولما يحصل بالمفارقة من تهيج الشوق وانبعاث داعية العود<sup>4</sup>.

وقال أبو زكريا النووي -رحمه الله-: \* وَالْمُخْتَارُ: أَنَّ الْمَجَاوِرَ مُسْتَحَبٌّ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ إِلَّا أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ الْوُقُوعُ فِي الْأُمُورِ الْمَذْمُومَةِ أَوْ بَعْضُهَا (وَقَدْ جَاوَرَ بِهَمَّا خَلَّاقٌ لَا يَحْصُونَ مِنْ سِلْفِ الْأُمَّةِ وَخَلَفَهَا مَنْ يَقْتَدِي بِهِ، وَيَنْبَغِي لِلْمَجَاوِرِ أَنْ يَذْكُرَ نَفْسَهُ بِمَا جَاءَ عَنْ عَمْرِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: لَخَطِيئَةٌ أُصِيبَهَا بِمَكَّةَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ سَبْعِينَ خَطِيئَةً بغيرها)<sup>5</sup>.

## 3. أسباب رحلات المغاربة إلى بلاد الحجاز خلال العصر الوسيط:

اتصلت الرحلة الحجازية واتصلت في إثرها ظاهرة المجاورة بمكة والمدينة، ولم تزل هذه الظاهرة تتسع رقعتها حتى استوعبت الجم الغفير من الوافدين على البلدتين المقدستين من مختلف الآفاق، ومنها أفق الغرب الإسلامي.

### 1.3- الأسباب الايمانية والروحية:

يعتبر الحج من أعظم الرحلات إلى بلاد الحجاز لدى المغاربة، لأنهم كانوا أبعد الناس عن الحجاز من جهة الغرب فكان شوقهم لأداء الفرائض وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم من غيرهم، وكانوا يتحملون بذلك مشاق السفر<sup>6</sup>.

وهذا ما جعل العديد من سكان بلاد المغرب يشدون الرحال قاصدين التحنث بقدسية والتشرف بنيل الأجر والثواب وما يروج في الحجاز من معارف وفنون، كما يظهر أن الرحالة الحجاج من المغرب الإسلامي يأتون بالمقدمة مقارنة بإخوانهم من بقية البلاد الإسلامية، في هذا الشأن رصد محمد الجاسر حوالي سبعين اسماً وأثراً من القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي حتى القرن الرابع عشر هجري/ العشرون ميلادي، وكلهم قدموا إلى الحجاز لأجل الحج والزيارة<sup>7</sup>.

ومن الأمور الدالة على عمق الأواصر بين الرحلة والدين عند المغاربة انكباب كثير من الأئمة والعلماء على السفر وانشغالهم بتنفيذ رحلاتهم، وهنا نشير إلى أن أهل المغرب كانوا أكثر الناس رحلة وتقليدا لها وفي مقدمتهم ثلة الأئمة المفسرين والحفاظ المحدثين والفقهاء<sup>8</sup>.

### 2.3 الأسباب العلمية:

تعد مكة والمدينة مقصدا لطالب العلم من شتى أنحاء البلاد الإسلامية، وتطورت الحياة العلمية فيها نتيجة لجهود العلماء الذين استوطنوها أو جاؤوا فيهما لفترات زمنية، وكتب التراجم العلماء تبين بوضوح أثر هؤلاء العلماء، وتؤكد على النشاط العلمي الذي تزايد مع مرور الوقت من خلال حلقات التدريس في أروقة الحرمين الشريفين، أو من خلال بعض المدارس العلمية التي أقامها الأمراء والسلاطين والأرطبة بمكة والمدينة، وأوقفوا عليها الأوقاف والمخصصات المالية، وعينوا العلماء للتدريس فيها، وأنفقوا بسخاء على طالب العلم لمساعدتهم على التفرغ لطلب العلم<sup>9</sup>.

وهذا العامل يرفع من مكانة مكة والمدينة ويضفي عليها حلة لا تتوفر لغيرهما، وهي اقتران الحج بطلب العلم، فالقدوم لأداء فريضة الحج عامل من عوامل التواصل والتلاقح والالتقاء ومناسبة تتسع فيها رحاب مكة لاحتضان النخب العلمية من مختلف الحواضر الإسلامية<sup>10</sup>.

ومما لا شك فيه أنّ مكة والمدينة كانت في منتهى الحركة العلمية بسبب الرحلات والمجاورة، وهي ميزة انفرد بها سائر الأقطار الإسلامية حتى قيل أنّ بعض العلماء إذا افتقد كتابا لم يستطع الحصول عليه رغم طوافه في البلدان لجأ إلى الإعلان عنه في الحج طبعاً في معرفة مكانه والحصول عليه<sup>11</sup>.

وقد أبرزت كتب التراجم والرحلات الدور العلمي للمساجد والمدارس والأربطة في مكة والمدينة، فالمسجدان الحرام والنبوي الشريف كانا بمثابة الجامعة يتوافد إليها طالب العلم من جميع أنحاء العالم الإسلامي، ليتلقوا العلم على أيدي علماء برعوا في عدة علوم وفنون. وقد تنوعت العلوم ب تنوع العلماء في مكة والمدينة المنورة، بسبب الرحلات السنوية للحج والزيارة، بها عن سائر أقطار العالم الإسلامي. كما سارت المدارس والأربطة في مكة والمدينة المنورة جنباً إلى جنب مع المساجد في نشر العلم<sup>12</sup>.

#### 4. نماذج من العلماء والأئمة المغاربة في بلاد الحجاز:

اشتهر في بلاد الحجاز عدد معتبر من العلماء الذين وفدوا من بلاد المغرب وكان لهم حظ في زيارة البقاع المقدسة منهم كانت رحلته مؤقتة بعودته إلى الديار، ومنهم من فضل المكوث إلى جانب الحرم الشريف من أشهرهم:

— أبو عمر ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني:

مراكشي الأصل. سكن ألمرية قديماً، ثمّ إشبيلية بأخرة. رحل إلى المشرق وحج وجاور، وأخذ بمكة شرفها الله عن أبي عبد الله الطبري؛ ومما أخذ عنه صحيح مسلم سنة 479هـ. وسمع بها أيضاً من أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي صحيح البخاري. وهو الذي أوصله إلى المغرب. رجع إلى بلده، وحدث فيها، فسمع منه الناس. توفي سنة 530هـ<sup>13</sup>.

– أبو علي منصور بن حمزة بن عبد الله المجاصي المكناسي:

الفقيه الأجل، إمام المالكية بالمسجد الحرام بمكة المكرمة. سمع من أبي عبد الله بن أبي الصيف صحيح مسلم، ومجلدات من صحيح البخاري، وجامع الترمذي. سمع ذلك كله في الحرم المكي الشريف سنة 595هـ<sup>14</sup>.

– جعفر بن عبد الرحمن الصقلي الخند البجائي:

قال عنه تقي الدين الفاسي: "المقرئ الفقيه المحدث يكنى أبا الفضل، روى عن القاضي أبي نصر محمد بن هبة اهلل بن ميميل الشيرازي، حدث بالمدرسة المنصورية بمكة، وسمع منه بها الحافظ شرف الدين الدمياطي ت644هـ/1247هـ<sup>15</sup>.

5. ابن حمود المكناسي:

1.5 التعريف به:

هو علي بن عبد الله بن حمود أصله من مكناسة الزيتون لذلك يعرف بالمكناسي<sup>16</sup>، ولد سنة 496هـ/1102م<sup>17</sup>، ولد بفاس ورحل إلى المشرق سنة 512هـ/1118م نحل العلم من علمائها من أبرزهم الطرطوشي وأبو الحسن سعد الخير الأندلسي الذي أخذ عنهما سنن أبي داوود، وروى عن صحيح البخاري عن أبي مكتوم، وروى أيضا عن ابن طرخان صحيح مسلم، كما روى عن ابن المبارك بن عبد الجبار جامع الترمذي، وموطأ القعني عن أحمد بن عبد الله<sup>18</sup>.

ومن صفاته وأخلاقه التي تذكرها كتب التراجم أنه كان زاهدا ورعا، محسنا إلى الغرباء والضعفاء، كثير الخشوع، متواضعا سريع الدمعة، يجمع بين الفضل والعبادة والنسك والإرادة. وكان له احتمال وصبر على إذاية الناس<sup>19</sup>.

## 2.5. قدومه إلى الحجاز وامامته للحرم الشريف:

يعدّ المسجد الحرام من أعظم المراكز الدينية والعلمية بالحجاز. فهو الوجهة المثالية للعلماء المسلمين لأنه يعتبر بمثابة مقر للتدريس وجامعة مفتوحة لطلبة العلم، وتفويض كتب التراجم بأسماء العلماء والمجاورين من سكان بلاد المغرب الذين ذاع صيتهم في بلاد الحجاز من أشهرهم الامام ابن حمود المكناسي الذي رحل إلى المشرق بنية الحج ونهل العلم من علمائها، ليعود بعد ذلك إلى المغرب سنة 518هـ/1124م، ثم دخل الأندلس بنية الغزو والرباط ثم عاد إلى فاس سنة 526هـ/1131م ليعود مرة أخرى إلى المشرق عبر الإسكندرية ليصل إلى مكة ويكون مجاورا لها ليصبح بذلك امام الحرم الشريف<sup>20</sup>.

لم تكن إمامة الحرم الشريف في متناول جميع الناس بل كانت لمن كام مجاورا لمكة وعرف بالأخلاق الحميدة هذا ما نستشفه من كلام الغرناطي حينما يصف الامام ابن حمود المكناسي فيقول: "كان زاهدا ورعا متقللا من الدنيا معرضا عنها، مقبلا على ما يقربه إلى الله تعالى هينا لينا كثير الخشوع متواضعا، سريع الدمعة، مشققا على الغرباء والضعفاء محسنا إليهم"<sup>21</sup>، فهذه الأخلاق أهلت ابن حمود المكناسي ليكون اماما للحرم الشريف في ذلك الوقت.

أما عن وفاته فقد وافت المنية الامام ابن حمود المكناسي سنة 573هـ/1177م بمكة، وقد دفن بالصفاء<sup>22</sup>.

### الخاتمة :

إن مظاهر هذا التواصل بين بلاد الحجاز وبلاد المغرب ظلت قائمة بالرغم من الظروف والصراعات السياسية على امتداد التاريخ، لأن الغاية الأسمى لهذا التواصل كانت الحج وبغية طلب العلم، وقد عرف لدى سكان بلاد المغرب هذا الشغف في رحلتهم للحجاز فمنهم من زار تلك البلاد وعاد بالعلوم إلى أرض المغرب لنشر المعرفة فيها، ومنهم من فضل المجاورة لمكة وصار ذو مكانة ومنصب سامي وهذا ما حدث للإمام الشيخ ابن حمود المكناسي الذي كان ذا خلق شريف ما أهله ليكون إمام الحرم الشريف خلال القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي.

### قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: بشار عواد معروف، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011م.
- 2- الزيلعي عثمان بن علي ، تبين الحقائق وشرح كنز الدقائق، ج1، المطبعة الأميرية، بولاق، 1314هـ.
- 3- الغرناطي أحمد بن ابراهيم ، صلة الصلة، تحقيق، شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، 1429هـ/2008م.
- 4- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي نجم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.
- 5- المكناسي أحمد بن القاضي ، جذوة الاقتباس، دار المنصور للوراقة والنشر، الرباط، 1973م.
- 6- ابن منظور، لسان العرب، ج1، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ/1994م.
- 7- الأعرج عبد الرحمن، دور الرحلات في التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق، مجلة الحكمة، عدد 8، 2016م.
- 8- الطيار عبد الله وآخرون، الفقه الميسر، ج4، مدار الوطن، الرياض، 2011م.
- 9- المنوني محمد ، ركب الحج المغربي، معهد مولاي الحسن، تيطوان، 1953م.
- 10- شلي أحمد ، موسوعة النظم والحضارة، ط11، مكتبة النهضة المصرية، د ت ن،
- 11- خليل فاطمة، من ملامح الرحلة المغربية، مجلة البحث العلمي، العدد 4، 1999م،

- 12- الغامدي عبد العزيز صالح ، "دور الحج في التواصل الثقافي بين علماء الحرمين الشريفين والعلماء المغاربة"، مجلة التاريخ العربي، عدد57، 2001م.
- 13- مولاي الحسين أليان، الجوار في الحرم المكي وأثره في نشر العلم والمعرفة (مجاورو المغرب الأقصى نموذجاً)، مجلة الواضحة، العدد 4، الرباط، د ت ن.

### الهوامش:

- <sup>1</sup> - عثمان بن علي الزيلعي، تبين الحقائق وشرح كنز الدقائق، ج1، المطبعة الأميرية، بولاق، 1314، ص70.
- <sup>2</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج1، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ/1994م، ص146.
- <sup>3</sup> - ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي نجم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، صص165-166.
- <sup>4</sup> - عبد الله الطيار وآخرون، الفقه الميسر، ج4، مدار الوطن، الرياض، 2011م، ص107.
- <sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص108.
- <sup>6</sup> - محمد المنوني، ركب الحج المغربي، معهد مولاي الحسن، تيطوان، 1953م، ص89.
- <sup>7</sup> - أحمد شلي، موسوعة النظم والحضارة، ط11، مكتبة النهضة المصرية، د ت ن، ص56.
- <sup>8</sup> - فاطمة خليل، من ملامح الرحلة المغربية، مجلة البحث العلمي، العدد 4، 1999م، ص28.
- <sup>9</sup> - عبد العزيز صالح الغامدي: "دور الحج في التواصل الثقافي بين علماء الحرمين الشريفين والعلماء المغاربة"، مجلة التاريخ العربي، عدد57، 2001، ص73.
- <sup>10</sup> - المرجع نفسه، ص75.
- <sup>11</sup> - المرجع نفسه، ص75.
- <sup>12</sup> - عبد الرحمن الأعرج، دور الرحلات في التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق، مجلة الحكمة، عدد 8، 2016، ص186.

<sup>13</sup> - مولاي الحسين أليان، الجوار في الحرم المكي وأثره في نشر العلم والمعرفة (مجاورو المغرب الأقصى نموذجاً)، مجلة الواضحة،

العدد 4، الرباط، د ت ن، [https://www.edhh.org/wadiha/index.php/hassan-dans-le-haram-](https://www.edhh.org/wadiha/index.php/hassan-dans-le-haram-al-makki-et-son-impact-sur-la-diffusion)

[al-makki-et-son-impact-sur-la-diffusion](https://www.edhh.org/wadiha/index.php/hassan-dans-le-haram-al-makki-et-son-impact-sur-la-diffusion)

<sup>14</sup> - المرجع نفسه.

<sup>15</sup> - المرجع نفسه.

<sup>16</sup> - أحمد بن ابراهيم الغرناطي، صلة الصلة، تحقيق، شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، 1429هـ/2008م،

ص312.

<sup>17</sup> - أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، دار المنصور للوراقة والنشر، الرباط، 1973م، ص466. ابن الآبار، التكملة

لكتاب الصلة، تح: بشار عواد معروف، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011م، ص245.

<sup>18</sup> - الغرناطي، المصدر السابق، ص313.

<sup>19</sup> - المصدر نفسه، ص313.

<sup>20</sup> - ابن القاضي، المصدر السابق، ص466. ابن الآبار، المصدر السابق، ص246.

<sup>21</sup> - ابن القاضي، المصدر السابق، ص466. ابن الآبار، المصدر السابق، ص246.

<sup>22</sup> - الغرناطي، المصدر السابق، ص313.

